لغز الرجل الأزرق



محمود سالم

لغز الرجل الأزرق

تأليف
محمود سالم



لغز الرجل الأزرق

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٢٣ ٤

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

قطعة قديمة من القماش

وصل المغامرون الخمسة إلى بئر البترول في الصحراء الغربيَّة بعد مغامرةٍ مُثيرةٍ، فقد هبطَتْ بهم الطائرة هبوطًا اضطراريًّا في مكانٍ مجهولٍ ... وتعرَّض العمال الذين كانوا معهم للخطف من عصابةٍ لا يعرف أحدٌ من أين أَتَتْ ... ثم اختفى الطيَّار «حسني» والمستر «كوكس»، مندوب شركة «فيلبس» للبترول ... وبعد صدامٍ مع عصابة الطوارق ... استطاع المغامرون أن ينتصروا وأن يُعيدوا المخطوفِينَ، ولكنَّ العصابة اختفَتْ في الصحراء الواسعة ... كما اختفى أثر «وادي المساخيط» حيث كانت العصابة تعيش.

وأخذت الطائرة الهليكوبتر الضخمة التي حملتهم إلى مكان البئر تحوم للحظات، ثم اختار الطيار مكان الهبوط، وأخذ ينزل تدريجيًّا ... وأثارت المروحة الكبيرة عاصفةً من الرمال ... ثم استقرَّتِ الطائرة أخيرًا على الأرض الرملية، وبدأ المغامرون ينزلون ومعهم «زنجر»، الكلب الأسود الذي كشف سرَّ العصابة، ومكان «وادي المساخيط» بشجاعةٍ نادرةٍ ... وخرج بعد ذلك ببعض الجراح.

وقف المغامرون الخمسة بجوار الطائرة التي كفَّت مروحتها عن الدوران، في انتظار هبوط المهندس «رضوان»، خال «تختخ»، وصاحب الدعوة التي أَتَتْ بهم إلى الصحراء، ووضعتهم في قلب مغامرةٍ من أغرب المغامرات ... مغامرة انتهت بنجاتهم حقًّا ... ولكن دون أن يوقعوا العصابة في أيدي ممثلي القانون كالمعتاد.

هبط المهندس «رضوان» وتلفَّتَ حوله ... ثم اتجه إلى حيث يقف المغامرون، وابتسم وهو يقول لهم: آسفٌ جدًّا ... لقد تعرَّضتم لمتاعبَ مرهقةٍ ولمواقف رهيبةٍ ... وأرجو أن تجدوا بعض الراحة هنا من عناء المغامرة التي مررتم بها.

قال «تختخ»: إن المغامرة جزءٌ من حياتنا يا خالي ... فلا تحمل همًّا لما مرَّ بنا، على العكس، إن ما يضايقنا أن العصابة وزعيمها قد استطاعوا الهرب دون أن نقبض عليهم.

رضوان: وكيف كان يمكن القبض عليهم وليس معنا قوات من الشرطة؟! إن عددهم يزيد على الأربعين.

انضمَّ إليهم الطيار «حسني»، وسمع الحديث فقال: على كل حالٍ ... الحمد لله أننا نجونا من أيديهم ... لقد جاءت بعضُ اللحظات التي تأكَّدتُ فيها أننا لن نخرج من الصحراء أحياء مطلقًا.

تدخَّلَتْ «لوزة» في الحديث قائلة: للأسف إننا سنعود بمغامرةٍ ناقصةٍ ... فليس معنا دليلٌ يمكن متابعته حتى نعرف أين ذهبَتْ العصابة.

كان «محب» يقف صامتًا طول الوقت، وهو يضع يده في جيبه ... كان يُخفي شيئًا ... ولكنه أمام الحديث الذي سمعه لم يستطعْ السكوت فقال: إن معي الدليل يا «لوزة»!

التفتَ إليه الجميع باهتمامٍ، وقال رضوان: دليلٌ ... أيُّ دليلٍ؟!

محب: لا أدري قيمته حتى الآن ... ولكن ربما بعد أن نفحصه جيدًا يمكن أن نُقدِّر قيمته، ومدى فائدته لنا.

نوسة: لا تكن غامضًا يا «محب»، إنك بالطبع تستطيع أن تعرف قيمة الدليل.

محب: لقد قلتُ الحقيقة ... فلم يتسع لي الوقت؛ لأعرف قيمة الدليل!

بدا الحماس على «لوزة» كالمعتاد، وقالت: أرِني الدليل يا «محب»!

تدخَّل المهندس «رضوان» في الحديث قائلًا: إننا جميعًا في حاجةٍ إلى الراحة، وأقترح أن نعرف أماكن مبيتنا أولًا، ونغتسل وننام بعض الوقت، ثم نعاود الحديث ... وإن كنتُ أرجوكم أن تبتعدوا عن أيِّ مغامرةٍ ... فإنني أريد أن أُعيدكم إلى «المعادي» سالِمِينَ.

توقَّف الجميع عن الحديث بعد ذلك، واحترموا رغبة المهندس «رضوان» الذي كان يبدو مرهقًا بعد ليلةٍ طويلةٍ بلا نومٍ ... واتَّجهوا إلى المعسكر.

كان معسكر البترول مُكوَّنًا من مجموعة من المقطورات التي تجرُّها السيارات ... وكل مقطورة تشبه منزلًا صغيرًا مستطيلًا به كل وسائل الراحة، من سراير ومقاعد ودورات مياه ... كما كانت جميعًا بها مراوح للتهوية ... فقد كانت هناك ماكينة كهرباء ضخمة هي التي تدير بريمة الحفر للبحث عن البترول، وفي نفس الوقت تمدُّ المعسكر بالكهرباء.

وفي وسط مجموعة من المقطورات كانت تقف بريمة الحفر التي جاءوا للفرجة عليها ... بريمة عملاقة تشبه بُرجًا من الصلب الأسود اللامع، مربوطة إلى الأرض بسلاسل ضخمةٍ ... واضطُرَّ الأصدقاء إلى أن يلووا رقابهم لإمكان النظر إلى نهايتها.

وقالت «نوسة» معلِّقة: إنها تشبه برج «إيفل» كما أراه في الصور وفي التلفزيون!

عاطف: ولكن برج «إيفل» لم يقيموه للبحث عن البترول.

لوزة: لماذا أقاموه إذن يا «عاطف»؟

كان السؤال مفاجئًا «لعاطف» الذي لم يكن مستعدًّا للإجابة.

فقالت «نوسة» ترد على السؤال: إنه مجرد رمزٍ عظيم لقدرة الإنسان على العمل … كما أنه أصبح رمزًا لمدينة عظيمة هي «باريس» … ثم بمرور الوقت أصبح مزارًا سياحيًّا هامًّا … وبه مطاعم وكازينوهات يتردَّد عليها مئات الألوف من الزوار كل عامٍ.

ومضوا إلى المقطورة التي خُصِّصَتْ لهم … قسَّموها بسرعة إلى قسمَين، وأقاموا ستارًا يفصل بين مكان «لوزة» و«نوسة» وبين بقية المغامرين، وأسرعوا يرتِّبون حاجياتهم … فقد كانوا يريدون معرفة كلِّ ما يدور في هذا المعسكر البعيد من معسكرات البترول … وقد كان «عاطف» محقًّا في تعليقه عندما قال: كيف يتصوَّرون العثور على البترول في بئر اسمها «الناشفة»؟!

وقد ألقى «عاطف» هذا السؤال على المهندس «رضوان» … الذي حضر لزيارتهم وللاطمئنان على راحتهم … وردَّ المهندس «رضوان» على السؤال مبتسمًا قائلًا: إننا لا نتفاءل ولا نتشاءم … فقد نجد في «الناشفة» بترولًا … وقد أطلق الأعراب هذا الاسم على المكان حيث لا توجد آبار مياه …

وبعد أن اغتسلوا خرجوا مع المهندس «رضوان» إلى البئر، وكانت فترة العمل قد بدأت، وأخذت الماسورة المجوفة التي تهبط إلى أعماق الأرض تغوص تدريجيًّا أمام أعينهم … فقال المهندس «رضوان»؛ يشرح لهم العملية: إن حفر بئر من البترول يتمُّ بعد إجراء عددٍ كبيرٍ من الاختبارات … وبعد أن يصبح احتمال وجود البترول بنسبة معقولةٍ نبدأ عملية حفر البئر … وهي كما ترون عملية مُبسَّطة … ليست أكثر من محاولة الغوص في أعماق الأرض للوصول إلى طبقة البترول، ويتم الحفر بواسطة ما نُسمِّيه «بريمة» وهي فعلًا تشبه «البرِّيمة» العادية، ومهمَّتها الغوص على أكبر عمقٍ ممكن من الأرض، وفي طرف البرِّيمة جهازٌ نضع به نوعًا من الطين يُسمى «الطَّفلة» وميزته أنه يمتصُّ البترول إذا كان موجودًا، وبين فترة وأخرى نُخرج الجهاز، وما به من «طَفْلة» ثم نُحلِّل الطَّفلة لنرى إذا كانت قد امتصَّتْ بترولًا أم لا.

محب: فإذا وجدتم بترولًا، تحفرون بئرًا أكبر؟!

رضوان: ليس في كل الأحوال … فلا بد من تقدير كمية البترول الموجودة في المكان، وذلك بحفر سلسلة من الآبار الاستكشافية في المنطقة لمعرفة مساحة الحقل … فإذا كانت

مساحته كبيرة — أو كما نقول عنها نحن مساحة اقتصادية — أي إن عائد العملية الاستثمارية أكبر من مصاريف الإنفاق عليها، بدأنا حفر الآبار الاستخراجية.

نوسة: معنى هذا أن من الممكن أن تجدوا في مكان ما بترولًا ثم لا تخرجونه؟

رضوان: هذا ممكنٌ ... إذا كانت الكمية — بحساباتنا — ليست اقتصاديةً ... ومما يساعد أيضًا على القرار نوع البترول المُستخرَج، ومدى جودته.

عاطف: أرجو أن نكون «وش خير عليكم».

رضوان: أرجو ذلك.

وسمعوا جميعًا المستر «كوكس»، مندوب شركة «فيلبس» يُنادي على «رضوان»، فاستأذن منهم وانصرف ... ووقف المغامرون ومعهم «زنجر» يشاهدون «البرِّيمة» وهي تغوص تدريجيًّا في الأرض ... فجأةً قالت «لوزة»: لقد نسينا أن نسأل «محب» عن الدليل الذي عثر عليه!

وتنبَّه الأصدقاء فجأةً من تأملاتهم، وهم ينظرون إلى البئر ... وقال «محب»: لا أدري مدى أهمية ما عثرتُ عليه ... ولكن ها هو ذا.

ومدَّ يده في جيبه فأخرج قطعة مطوية من القماش القديم، كان قد طبَّقها بعنايةٍ على شكل منديلٍ ... وفتح «محب» قطعة القماش، كان لونها أصفر، وقد تآكلَتْ من بعض جوانبها، وقد رُسِمَ عليها بعض الخطوط المتعرِّجة بالخط الأسود الغليظ، ووُضِعَت نُقَط خضراء في أماكن متباعدة منها ... وبجوار نقطة خضراء كان ثمة رسم غامض الشكل باللون الأحمر.

قال «تختخ» متسائلًا: أين عثرتَ عليها؟

ردَّ «محب»: شاهدتها تسقط من الزعيم الأزرق أثناء إطلاق الديناميت فأسرعتُ بالتقاطها.

الوادي الغامض

التفَّ الأصدقاء حول «محب»، وأخذوا يتأمَّلون قطعة القماش القديمة ... كان من الواضح أنها خريطة بدائية رُسِمَتْ باليد ... وبأصباغٍ طبيعيةٍ.

قالت «نوسة» بعد تفكيرٍ عميقٍ: أظنُّ أنها ليست مشكلة أن نفهم حقيقة هذه الخريطة.

محب: أعتقد أنها خريطة «وادي المساخيط» ... هذا الوادي الغامض الذي دخلناه وخرجنا منه دون أن نعرف مكانه بالتحديد.

مدَّ «تختخ» يده وأخذ يتأمل الخريطة بإمعانٍ، ثم قلبها على الوجه الآخَر، ولاحظ وجود كتاباتٍ مطموسةٍ كُتِبَتْ بخطٍّ عريضٍ ... وقرَّب الخريطة من عينَيْهِ، وحاول أن يقرأ الكلمات المكتوبة ... ولكنها كانت مطموسةً تمامًا، وبلغةٍ لا يعرفها.

وقال «تختخ»: شيءٌ مثيرٌ هذه الخريطة ... من الواضح أن شخصًا ما في زمنٍ قديمٍ قد رسمها؛ ليحدِّد خط السير من نقطة ما في الصحراء إلى مكان قد يكون «وادي المساخيط»، فالرسم الأحمر لبعض هياكل التماثيل ... وهي تشبه إلى حدٍّ ما التماثيل الحجرية التي رأيناها في الوادي الغامض.

لوزة: وهل يمكن أن تدلَّنا هذه الخريطة على مكان «وادي المساخيط»؟

ردَّ «عاطف» ضاحكًا: حتى ولو كانت ... فهل عندك استعدادٌ للذهاب إلى هذا الوادي الرهيب؟!

لوزة: أنت و«نوسة» وأنا ... لم نُشاهده ... ويجب أن نُشاهده!

عاطف: أنا شخصيًّا متنازل عن هذا الشرف.

محب: إنني لن أنسى لحظات الخوف التي مررتُ بها في هذا المكان ... لقد ظننتُ أحيانًا أنني لن أعود إلى العالم مرة أخرى.

ظل «تختخ» صامتًا يتأمَّل الخريطة ثم قال: أعتقد أن من الصعب جدًّا أن تُوصِلَنا إلى مكان الوادي ... إن النقط الخضراء تدلُّ على مكان وجود زرعٍ أو واحةٍ، وهذا كل ما يمكن الخروج به من هذه الخريطة ... فنحن لا نستطيع أن نعرف أين توجد هذه الواحات من الصحراء الغربية وهي أكبر صحراء في العالم.

نوسة: لعلنا لو عثرنا على أحد الأعراب الذين يعيشون في هذه الأنحاء نستطيع أن نعرف عن طريقه أماكن الواحات هذه، وبالتالي يمكن أن نصل إلى «وادي المساخيط»!

تختخ: فلنترك ذلك للمصادفة ... فقد جئنا نتعرَّف على عالَمٍ جديدٍ، هو عالَم اكتشاف البترول، وهو عالَمٌ مثيرٌ ... وسوف نعود بعد يومَينِ أو ثلاثة، ومن الصعب البحث عن «وادي المساخيط» في هذه الفترة القصيرة، بالإضافة إلى المخاطر التي قد تترتَّب على هذا البحث.

وانطلق الجميع إلى حيث كانت البرِّيمة تعمل ... وقد أحاط بها المهندسون والعمال ... وقد أخذَتِ البرِّيمة تغوص تدريجيًّا في أعماق الأرض ... وبين فترةٍ وأخرى كانت تُضاف ماسورةٌ إلى البرِّيمة من أعلى؛ لتزيد من طولها وقدرتها على الغوص في أعماق الأرض.

استمروا فترةً يتفرَّجون ... ثم اتفقوا أن يطوفوا بالمنطقة؛ ليتعرفوا عليها ثم يعودوا ساعة الغداء، ومشوا ... لم يكن هناك حول البئر إلا سلسلةٌ من التلال الرملية، وعلى امتداد البصر ... الصحراء الواسعة ... دون أي دليلٍ على وجود منطقةٍ مأهولة بالسكان.

وقالت «لوزة»: إن الحياة في الصحراء حياةٌ موحشةٌ ... ولستُ أدري كيف تحمَّلَ الناس الحياة في هذه الرمال!

ردَّ «تختخ»: بالطبع إن الحياة في الصحراء شاقةٌ وقاسيةٌ، ولكن الصحراء ليسَتْ كلها مثل هذه ... فهناك الواحات ... وأكثرُ وأهم من هذا أن أكبر مناطق البترول في العالم الآن موجودة في الصحاري ... مثل: المملكة العربية السعودية ... والكويت، وليبيا ... وحول هذه الآبار تنشأ حياةٌ جديدة.

وكاد الأصدقاء يُغادرون مكانهم عندما أشارت «نوسة» إلى نقطةٍ سوداء تتحرك من بعيدٍ، قاصدة المعسكر ... وقالت: يبدو أن هناك بعض الضيوف.

عاطف: ضيوف؟! ولكنَّ أحدًا لم يتصل بنا تليفونيًّا ... كيف يأتي الضيوف بدون موعدٍ سابقٍ لنفرشَ الأرض رملًا؟

وضحك الأصدقاء ... فلم يكن على الأرض سوى الرمال.

قالت «لوزة»: هل ننتظر حضور هؤلاء الضيوف ... أقصد هل ينتظر رجال البترول ضيوفًا؟

محب: ربما ... لعلهم بعض الأعراب الذين يعيشون في هذه الأنحاء قد جاءوا يبيعون شيئًا من إنتاجهم.

لوزة: إن هذا يُفيدنا في قراءة الخريطة ... ألم نتفق على ذلك؟!

سكتَ الجميع لحظات ... ثم قالت «نوسة»: كم من الوقت تُقدِّرون ليصلوا إلى هنا؟

نظر كلٌّ منهم إلى ساعته، وقال «عاطف»: نصف ساعة ... إنهم على بُعد حوالي خمسة كيلومترات ... إذا قلنا إنهم يقطعون الكيلومتر في ست دقائق.

نوسة: كيلومتر في ست دقائق؟ إنك تحلم ... معنى هذا أنهم يسيرون بسرعة ١٠ كيلومترات في الساعة ... مَن يستطيع أن يسير بهذه السرعة في الرمال؟!

عاطف: إنني أتصوَّر أنهم يركبون جملًا ... وسفينة الصحراء كما يقولون تسير بهذه السرعة وأكثر.

محب: دعونا نتراهن.

نوسة: على أي شيءٍ؟! ليس هنا جيلاتي ... ولا كوكاكولا!

تختخ: فلنقل إن مَن يستطيع حساب الوقت بدقةٍ ... هو «ملك التوقيت»!

عاطف: هذا أحدث ملك في العالَم ... لماذا لا نصنع له عرشًا؟

لوزة: المهم ... إنني أعتقد أنهم سيصلون في ساعة.

عاطف: نصف ساعة.

محب: ٤٥ دقيقة.

نوسة: ٥٠ دقيقة.

وبقي «تختخ» ساكتًا، فقالت «لوزة»: وأنت يا «توفيق»؟

ردَّ «تختخ»: خمسة وخمسون دقيقة.

عاطف: ياه، وكم ثانية؟!

تختخ: وستون ثانية!

وضحك الأصدقاء، ثم قالت «نوسة»: على كل حالٍ ... يجب أن نبحث عن مكان ظليلٍ ... فلو وقفنا في الشمس أيَّ مدةٍ من هذه المدد لأُصِبْنا جميعًا بضربة شمسٍ.

ونظروا حولهم ... كانت الشمس قد أصبحَتْ عموديةً تقريبًا ... ولا ظِلَّ هناك مطلقًا، ولكن «زنجر» الذي كان يقف بعيدًا ومتضايقًا من هذا الحوار لوى عنقه ثم سار ... وصاح به «تختخ»: إلى أين يا «زنجر»؟!

لم يرد «زنجر» بهز ذيله ... أو بالنباح كما اعتاد أن يفعل، بل استمرَّ يسير وكأنه على موعدٍ هامٍّ ... وقال «تختخ» مقترِحًا: تعالوا نسير خلف «زنجر» فمن الواضح أنه يقصد هدفًا ما.

وساروا جميعًا خلفه ... ومشى «زنجر» بهدوءٍ، ودار حول أحد التلال ثم انحرف يسارًا واختفى ... وأسرع الأصدقاء خلفه، وقد أدهشهم تصرُّفه، والشيء المدهش الذي حدث أنهم لم يجدوه ... ووقفوا مذهولِينَ ... أين ذهب «زنجر»؟!

وبالطبع فكَّرت «لوزة» أنه خُطِف ... وأن عصابة «وادي المساخيط» قد عادت، وأنها ستدخل مغامرة في اللحظات التالية ... ولكن ظن «لوزة» لم يتحقق، فقد سمعوا نباح «زنجر» يصدر من خلف تلٍّ صغيرٍ ... فداروا مسرعِينَ حوله، واتجهوا إلى مصدر الصوت ... المدهش أنهم بدلًا من أن يروا «زنجر»، وجدوا بئرًا قديمة قد أحاطَتْ بها بعض الأعشاب النامية ... وبعض شجيرات الصبار!

كانت مفاجأةً مُفرِحة للجميع أن يشاهدوا اللون الأخضر في هذه الصحراء الصفراء الواسعة ... ثم تقدَّموا فوجدوا «زنجر» قد قبع في فوهة البئر الجافة حيث كانت تبدو بعض الرمال رطبةً من تسرُّب مياهٍ خفيفٍ ... ضحكوا جميعًا ... وأسرعوا إلى ظل الصبَّار ... حيث وجدوا بقعًا متناثرةً من الظلِّ ... واختار كلٌّ منهم مكانًا وجلس فيه ... وأحسُّوا براحةٍ كبيرةٍ في هذا الظل، وهذه الرطوبة بعد لفحة الشمس القاسية، والريح الساخنة ... خاصةً وقد تمكنوا من مشاهدة القادم البعيد ... لم يكن في البداية شيئًا واضحًا، ولكنه بعد عشر دقائق بدا واضحًا ... إنها ناقةٌ تسير ببطءٍ، وإن عليها راكبًا ... وإنها متجهةٌ إلى مكان بئر البترول ... وقالت «نوسة» مبتسمةً: يبدو أننا جميعًا سنخسر الرهان ... فالناقة تسير ببطءٍ شديدٍ.

لوزة: ولكن لماذا تسير بهذا البطء؟

محب: ربَّما عليها حمولة ثقيلة!

عاطف: أو مريضة ... أو عطشى ... أو جائعة.

وأخذوا يضعون أيديهم على أعينهم اتِّقاءً لوهج الشمس، وهم ينظرون إلى الناقة وهي تتقدَّم ... وتتقدم ... وفجأة صاح «محب»: إن عليها راكبَينِ وليس راكبًا واحدًا!

في الوقت المناسب

تردَّدَتْ صيحة «محب» في السكون ... ولم يكن شيئًا مُهمًّا أن يكون القادم واحدًا أو اثنين ... ولكن ربما كان بداية إحساسهم بالملل هو السبب في الاهتمام بالراكب القادم ... وبأنهما اثنان وليسا واحدًا.

وأخذت الناقة تقترب، حتى أصبحت واضحةً تمامًا ... ونظر «عاطف» إلى ساعته وقال: لا أحد يكسب!

لم يَعُد أحد من المغامرين مهتمًّا إذا كان سيكسب أو يخسر ... فقد أصبح اهتمامهم مُنصَبًّا على القادمين ... مَن هما؟! ولماذا أتيا إلى المعسكر؟ وما هي الأخبار التي يحملانها؟

وعندما أصبحَتِ الناقة على بُعد نحو مائة مترٍ من مكان الأصدقاء، خرجوا جميعًا من البئر الجافة ومن ظلال الصبَّار، واندفعوا إلى القادِمِينَ.

كانت الناقة تقترب ... وبدأت ملامح الرَّجُلَينِ تتَّضح ... كان أحدهما أعرابيًّا طويل القامة، نافذ النظرات ... وكان الآخَر رجلًا يغلب عليه الطابع الأوروبِّي ... أصفر الشعر ... طويلًا ... وقد ربط ذراعه بقطعةٍ من القماش ... مما يدلُّ على أنه مُصاب ... ويحمل كاميرا مُعلَّقة في كتفه.

توقَّفت الناقة عندما جذب الأعرابي زمامها ... وقال: هل فيكم مَن يتحدَّث الإنجليزية؟

ردَّ «تختخ»: نعم!

أشار الأعرابي إلى الرجل قائلًا: لقد عثرنا على هذا الرجل تائهًا في الصحراء، ولم نستطع التفاهم معه ... فجئتُ به إلى بئر البترول لعل هنا مَن يستطيع الكلام معه.

تختخ: وأين وجدته؟

الأعرابي: وجدته هائمًا على وجهه في الصحراء ... يكاد يموت جوعًا وعطشًا ... وقد قُمنا بالإسعافات اللازمة له ... ولكن المشكلة أننا لا نستطيع التفاهم معه.

تردَّد «تختخ» لحظات، ثم قال: تقدَّم.

وسار الأصدقاء وبجوارهم الناقة إلى حيث بئر البترول ... وكان «تختخ» في إمكانه طبعًا أن يتفاهم مع الرجلَين ... ولكن لا بدَّ من تقديمهما أولًا إلى المهندس «رضوان»، باعتباره المسئول عن المعسكر، فلا أحد يدري ما خلفهما!

ووصل الجميع إلى حيث كان العمل دائرًا في «البرِّيمة» ... وكانت مفاجأةً للمهندس «رضوان» والمستر «كوكس» وبقية الرجال ظهور الناقة وعليها الأعرابي والرجل الأجنبي.

قال «تختخ» موجِّهًا حديثه إلى المهندس «رضوان»: لقد رأيناهما قادمَين ... ويقول الأعرابي: إنهم عثروا عليه في الصحراء تائهًا ... وإنه لا يعرف الحديث بالعربية.

أشار المهندس «رضوان» فنزل الأعرابي ... وأناخ الناقة فهبط الرجل الأجنبي ... وكان واضحًا عليها الإجهاد والتعب ... ولم يَكَدْ ينزل من ظهر الناقة حتى سقط على الأرض، فأسرع إليه المهندس «رضوان» يسنده، ثم تقدَّم «كوكس» منه، وسنده أيضًا، ومضى به الرجلان إلى إحدى المقطورات وخلفهما مضى الأعرابي يمسك بزمام الناقة حتى وصلوا إلى المقطورة ... وأسرع «تختخ» خلفهم قائلًا للأصدقاء: انتظروني عند البئر الجافة حتى أعرف قصة هذَينِ الرجلَينِ.

لوزة: لا تنسَ أننا نريد أن نعرض على الأعرابي الخريطة التي عثر عليها «محب».

تختخ: سأتذكر هذا!

مضى «تختخ» حتى وقف أمام باب المقطورة، ثم دقَّ الباب مستأذنًا ... ودخل. كان الرجال الأربعة يجلسون ... وقد أمسك كلٌّ من الأعرابي والأجنبي بزجاجةٍ من الماء، وانهمكا في الشرب بشراهةٍ.

وبعد أن انتهيا من الشرب، قال المهندس «رضوان» موجِّهًا حديثه إلى «الأعرابي»: ما هي حكاية العثور على هذا الرجل؟

ردَّ «الأعرابي»: إنني من قبيلة «بني علي» التي تسكن هذه الأنحاء ... وأمس مساءً بينما كُنَّا في طريقنا إلى واحة «سيوة»، سمعنا استغاثةً من خلف أحد التلال ... لم نفهم ماذا يقول المستغيث، ولكن كان من الواضح من صوته أنه في محنةٍ شديدةٍ، فأسرعنا إليه ... ووجدنا هذا الرجل مُلقًى على الرمال، مُصابًا بجُرحٍ في ذراعه، وآخَرَ في رأسه ... وهو يكاد يموت جوعًا وعطشًا ... فحملناه معنا ... وعبثًا حاولنا التفاهُم معه ... ولكن بالإشارات فهمنا أنه تعرَّض لاعتداءٍ ... وأنه يريد مَن يتحدَّث معه بالإنجليزية ... ولما كانت المسافة بين المكان الذي عثرنا عليه فيه وواحة «سيوة» بعيدة ... فقد وجدنا من الأفضل أن نحمله إليكم هنا ... فلا بد أنَّ فيكم مَن يعرف الحديث باللغة الأجنبية التي يتحدَّث بها الرجل.

وصمت الأعرابي ... فوجَّه المهندس «رضوان» حديثه إلى الرجل الأجنبي، وسأله بالإنجليزية: من أنت ... وماذا حدث بالضبط؟

قال الأجنبي: إنني عالِمٌ ضمن بعثةٍ إنجليزية جاءت للبحث في الصحراء بين مصر وليبيا عن آثارٍ رومانيةٍ قديمةٍ.

وسكتَ لحظة ثم مضى يقول: وقد انتهينا من مسح الجانب الليبي من الصحراء ثم جئنا إلى الصحراء المصرية ... وكنَّا نقترب من منطقة نعتقد أنها حافلةٌ بتماثيل مجهولةٍ من العصر الفرعوني ... عندما هاجمتنا مجموعةٌ من الأعراب أسَرَتْ زملائي، واستطعتُ الهرب.

كان «تختخ» يستمع بانتباهٍ شديدٍ ... فلا بد أن هذه البعثة كانت تقصد «وادي المساخيط» ... وأن التماثيل التي يتحدث عنها هذا العالِم ... هي التماثيل الحجرية التي شاهدها.

قال «كوكس»: هل الذين هاجموكم مجموعةٌ مُكوَّنةٌ من نحو أربعين رجلًا ... وهم ملثَّمون ... ويقودهم رجل أزرق اللون؟!

صاح العالِم: نعم ... بالضبط ... بل إنهم جميعًا زُرْقُ اللون.

قال «كوكس»: لقد هاجمونا نحن أيضًا ... ووقعنا في أسْرهم ... ولكن استطاع أصدقاؤنا الصغار في البعثة تخليصنا في الوقت المناسب.

ونظر «كوكس» إلى «تختخ»، ونظر إليه العالِم الإنجليزي ... فابتسم «تختخ» في تواضعٍ شديدٍ ... وقال العالِم الإنجليزي: إنني أُحيِّيكَ ... هل أنت الذي قُمتَ بالمغامرة؟

ردَّ «تختخ»: لستُ وحدي ... إن معي مجموعة من الزملاء وكلبًا مُخلِصًا!

العالِم: وهل تستطيعون معرفة المكان الذي كانوا يُقيمون فيه؟

تختخ: لا ... ولكنه وادٍ يُسمَّى في الأساطير الشعبية «وادي المساخيط»، ويقع في مكان تُخفيه التلال الرملية والصخرية تمامًا ... ومن الصعب رؤيته من الجو.

العالِم: هذه معلوماتٌ هامةٌ ... فهل عندكم معلومات أخرى؟

فكَّر «تختخ» لحظات ثم قال: في أثناء عملية الاختطاف والهرب، عثر أحد زُملائي على قطعةٍ قديمةٍ من القماش ... نظن أنها خريطةٌ بدائيةٌ لـ «وادي المساخيط».

بدا الاهتمام الشديد على وجه العالم وقال: هل في إمكاني أن أرى هذه الخريطة؟ إن ذلك سيكون حدثًا هامًّا ... وإذا استطعنا الوصول إلى هذا الوادي فإن الدنيا كلها ستتحدث عن هذا الاكتشاف!

تختخ: هذا ممكنٌ بالطبع.

مدَّ العالِم الإنجليزي يده إلى «تختخ» مُصافحًا، وقال: إنني أُدعَى «ماكلاجلن» ويسرُّني أن نصبح أصدقاء!

ردَّ «تختخ»: وأنا أُدعَى «توفيق» وأصدقائي يُسمُّونني «تختخ»، ويُسعدني يا سيدي أن نصبح أصدقاء، وأن نحلَّ لغز «وادي المساخيط».

قال المهندس «رضوان»: سنتركك الآن لترتاح ... وسنعود لك ساعة الغداء.

وقاموا جميعًا، وشكر «ماكلاجلن» الأعرابي الذي قال إنه سيبقى حتى المساء؛ ليتحركَ قُرب غروب الشمس.

خرج «كوكس» و«رضوان» و«تختخ»، وتركوا «ماكلاجلن» والأعرابي معًا ... بعد أن طلب الأعرابي أن يُرسلوا له كوبًا من الشاي.

خرج «تختخ» إلى ضوء الشمس مرةً أخرى ... كانت عشرات الخواطر تقفز في ذهنه ... إن الصُّدف قد ساقَتْ إليهم عالِمًا من علماء الآثار ... ودليلًا من الأعراب لكشف غموض «وادي المساخيط».

وأسرع «تختخ» إلى حيث كان الأصدقاء ينتظرونه عند البئر المهجورة ... وكانت ريحٌ قويةٌ قد بدأت تهبُّ من الجانب الغربي ... ريحٌ ساخنةٌ تشوي الوجوه، مصحوبةٌ بالرمال، ولكن «تختخ» لم يتوقَّف ... فقد كان يريد أن ينقل الأخبار الجديدة إلى المغامرِينَ بسرعةٍ.

ووصل «تختخ» إلى مكان البئر، وقد تحوَّلَتِ الريح إلى شبه عاصفة، وأخذ يقاوم الريح التي كانت تدفعه إلى الخلف ... وتجعل الرؤية متعذرةً.

وأخيرًا وصل إلى مكان البئر ... ولم يستطع للوهلة الأولى أن يرى أحدًا ... ولكنه سمع أصوات المغامرِينَ يتحدَّثون ... ثم سمع همهمة «زنجر» ... ودار حول التلِّ، ووصل إلى حيث يجلسون.

أسرع إلى ظلِ شجرةٍ من أشجار الصبَّار الصحراوي الضخم، والتفَّ حوله الأصدقاء متسائلِينَ عمَّا حدث ... فروى لهم بإنجازٍ قصة الرجلَينِ ... الأعرابي ... والعالِم «ماكلاجلن» ... وأنهى حديثه قائلًا: لقد ساقَتْ لنا الصُّدف أكثر مما كنَّا نحلُم به ... فعندنا عالِمٌ متخصِّص في الآثار، ودليلٌ من أبناء الصحراء ... وأعتقد أننا نستطيع الوصول إلى وادي «المساخيط ببساطةٍ».

صاحَتْ «لوزة» بابتهاجٍ: ياه ... لقد أصبح عندنا لغزٌ لا مثيل له ... وقد نُصبح مشهورِينَ مثل كبار البحَّاثِينَ والمستكشِفِينَ والعلماء.

قال «تختخ»: نعم ... إنها فرصةٌ ذهبيةٌ ... وسننتهزها ... هاتِ الخريطةَ يا «محب».

وضعَ «محب» يده في جيب القميص ... وفتَّش لحظات ... ثم في الجيب الآخَر، ثم بدا عليه الاضطراب، وهو يبحث في جيوب البنطلون ... وانتقل انزعاجه إلى بقية المغامِرينَ ... وقالت «نوسة»: ماذا حدث؟

ردَّ «محب» في حزنٍ: إنني لا أجد الخريطة!

ماذا يريد «زنجر»؟

كانت هذه الجملة أشبه بصدمةٍ أصابَتِ المغامِرينَ ... لقد كانوا منذ لحظاتٍ قليلةٍ يظنُّون أن «وادي المساخيط» قد أصبح عند أطراف أصابعهم ... وفجأة أصبح أبعد من القمر.

وقال «تختخ» بصوتٍ حاول أن يجعله هادئًا: من فضلك يا «محب» ابحث في هدوءٍ.

أخذ «محب» يبحث مرةً أخرى ... قلَّب جيوبه واحدًا واحدًا ... ثم خلع قميصه كله ... ولكن دون أن يظهر أثر للخريطة.

ووقف الجميع ساكتِينَ ... وقد تبدَّدَتْ آمالهم ... ولكن «لوزة» التي لا تهدأ قالت فجأة: هذا شيءٌ مضحكٌ ... كيف نقف حيارى أمام هذا اللغز البسيط؟! تعالَوا نبحث متى شاهدناها آخِر مرة ... وتحركات «محب» من مكانٍ إلى مكانٍ ... من المؤكَّد أننا سنجدها في النهاية.

نوسة: أذكر أننا رأيناها منذ حوالي ثلاث ساعات عند باب المقطورة ... وقد كانت بيد «محب» ثم أخذها منه «تختخ» ولا أدري إذا كان قد ردَّها إليه مرةً أخرى أم لا.

بدَتْ علامات التفكير على وجه «تختخ» و«محب» معًا ... كان «تختخ» يُحاول أن يتذكَّر إذا كان قد ردَّها إلى «محب» ... أم لا ... وكان «محب» يحاول أن يتذكر إذا كان قد أخذها من «تختخ» أم لا.

وقطعَتْ «نوسة» الصمت قائلةً: أعتقد أن «تختخ» ردَّ الخريطة إلى «محب»، فهذه عادةٌ، أن يردَّ الشخص أيَّ شيءٍ إلى صاحبه، وذلك يتمُّ بحركةٍ لا إرادية.

عاطف: هذا درسٌ في علم النفس ... فهل يساعدنا في البحث عن الخريطة؟

كان «تختخ» يفتِّش في جيوبه هو الآخَر ... ولكن لم يكن هناك أثرٌ للخريطة فقالت «نوسة»: لقد انتقلنا بعد رؤية الخريطة إلى مكان «البرِّيمة» حيث وقفنا فترةً ثم جئنا إلى

هذا المكان ... ومعنى ذلك أننا تحركنا في مثلث من المقطورة إلى البرِّيمة، إلى هذه البئر المهجورة ... فإذا تتبَّعنا أضلاع المثلث ربما وجدنا الخريطة.

وفكَّر «تختخ» أنه إذا كانت الخريطة قد سقطت منهم على الرمال ... فإن العاصفة ستحملها بعيدًا أو تدفنها، ولن يرَوْها مرةً أخرى، ولكنه مع ذلك هبَّ واقفًا وهو يقول: هيا بنا، وغادروا الظلَّ إلى الشمس ... والهدوء إلى العاصفة الرملية.

ومشوا في نفس الطريق الذي جاءوا منه ... وهم جميعًا ينظرون حولهم هنا وهناك، وقد انعكسَتْ أشعة الشمس على الرمال الذهبية، فأصبحَتْ نارًا تلسع عيونهم ووجوههم، ولكنهم مضوا يبحثون ... ويجرون إلى أي شيءٍ يبدو على الرمال مثل الخريطة ... ولكنهم وصلوا إلى البرِّيمة دون أن يجدوا أي شيءٍ.

وقفوا يرقبون العمل ... كانت البرِّيمة تغوص ببطءٍ في أعماق الصحراء ... وقد وقف المهندس «رضوان» و«المستر كوكس» يُراقبان العمل ... ويُصدران توجيهاتهما إلى العمل.

وفي هذه اللحظة ظهر العالِم الإنجليزي «ماكلاجلن» يمشي متجهًا إلى البرِّيمة وقد بدا أحسن حالًا ... ولاحظَتْ «نوسة» أنه طويل القامة أكثر مما كان يبدو وهو على ظهر الناقة ... نافذ النظرات ... قوي الشخصية حتى دون أن يتحدث، فقالت: إنه عالِمٌ من طرازٍ جديد ... فعادةً ما يكون العلماء ضِعافًا.

محب: لا تنسي أنه عالِم آثار ... وهؤلاء عادةً يمشون كثيرًا، ويعملون في الطقس الحار والبارد ... ويتحمَّلون مشقَّاتٍ كثيرةً ... ولعل هذا سر قوامه الممشوق وقوته الظاهرة.

اقترب منهم «ماكلاجلن»، فقدَّمَه «تختخ» إلى الأصدقاء، وقدَّمهم إليه، فسلَّم عليهم بحرارةٍ، وهنَّأهم على ما سمعه من انتصارهم على عصابة الأعراب الزُّرق في وادي المساخيط ... ثم وقف بجوارهم يتفرَّج على البرِّيمة وهي تعمل ... ثم قال مبتسمًا: إن التنقيب عن البترول ... يُشبه التنقيب عن الآثار ... كثيرًا ما ينتهي بالفشل ... وقليلًا ما ينتهي بالنجاح.

تختخ: ولكن الأبحاث الدقيقة عادة ما تؤدِّي إلى النجاح.

ماكلاجلن: ليس ضروريًّا ... فمثلًا في البترول قد ينتهي البحث بالعثور على بترول بكمياتٍ قليلةٍ ... أو العثور على بترول من نوع سيئٍ ... وكذلك في الآثار ... فقد ينتهي بالعثور على آثار لا قيمة لها ... أو قيمتها محدودة.

وصمت قليلًا ثم أضاف: إن عدد الأبحاث الأثرية التي انتهَتْ بالعثور على آثار ذات قيمةٍ تاريخيةٍ وماديةٍ كبيرة محدود للغاية.

قال «تختخ»: أين الأعرابي؟

رد «ماكلاجلن»: إنه نائمٌ … فقد أمضى الليل بطوله ساهرًا!

تختخ: للأسف إن الخريطة التي كنا نُريد أن نعرضها عليك قد فُقِدَت!

بدا الاهتمام على وجه «ماكلاجلن» وقال: فُقِدَت؟! كيف؟

تختخ: كانت مع صديقي «محب» وكنا نتفرَّج عليها معًا، ثم حضرتَ أنت والأعرابي فشُغِلْنا بكما ونسينا مع مَن كانت … وعندما بحثنا عنها لم نجدها.

لوزة: بقي أن نبحث عنها في المقطورة.

نوسة: سنذهب أنا و«لوزة» للبحث!

عاطف: سآتي معكما.

محب: وأنا أيضًا.

وغادر الأربعة المكان، وأخذوا يسيرون في الطريق الذي قطعوه منذ ساعات بين المقطورة والبرِّيمة … كأنهم أربعة من طلاب الصيد تبحث عن فريسة … ولاحظ «تختخ» أن «زنجر» لم يَعُد معهم من البئر المهجورة … وأدهشَتْه هذه الملاحظة قليلًا، ولكنه التفت إلى «ماكلاجلن» وهو يُحدِّثه قائلًا: ألا ننضمُّ إليهم للبحث عن الخريطة؟ إنها مسألةٌ هامَّةٌ جدًّا … ويجب العثور عليها.

تختخ: إذا لم يجدوها … فلن نستطيعَ نحن أن نجدها … إنهم متمرِّنون جدًّا على البحث عن الأشياء الصغيرة … وقد مرُّوا بعشرات التجارب التي علَّمَتْهم مهنة البحث والتحرِّي.

ماكلاجلن: وهل فهمتم شيئًا من هذه الخريطة؟

تختخ: لا شيء يُذكَر … سوى أنها تُمثِّل طريقًا من مكان ما في الصحراء إلى «وادي المساخيط»، وأهم المعالم التي عليها مجموعة من النقاط الخضراء نُرجِّح أنها آبار مياه أو واحات … وخط متعرِّج يوضِّح الطريق … ثم رسمٌ بدائيٌّ لتماثيل «وادي المساخيط».

ماكلاجلن: أليس عليها كتابة؟

تختخ: نعم … ولكن لم يتسع لنا الوقت لفهم معناها … خاصة وهي كتابات قديمة متآكلة وغير واضحةٍ!

ماكلاجلن: إن هذا شيءٌ مثيرٌ للغاية.

وتلفَّت «ماكلاجلن» إلى حيث كان المغامرون الأربعة منتشِرِينَ في المساحة بين البرِّيمة والمقطورة … كان واضحًا أنه مهتمٌّ جدًّا بالخريطة … وأحسَّ «تختخ» بالضيق لأنهم فقدوها بهذه البساطة … ثم فكَّر في «زنجر» مرةً أخرى … أين هو؟!

وكان وقت الغداء قد حان … وتوقَّف العمال في البرِّيمة … ودقَّ جرس مرتفعٌ يدعو الجميع إلى الغداء … وانتظموا جميعًا داخل مقطورةٍ كبيرة أُعِدَّت خِصِّيصَى للطعام، وجلس «كوكس» و«رضوان» و«ماكلاجلن» معًا … والأصدقاء معًا … وبقية العاملين في البئر في صفٍّ طويل.

كان «تختخ» قريبًا من الرجال الثلاثة … وقال «كوكس» موجِّهًا حديثه إلى «ماكلاجلن»: لقد أخطرنا الجهات المسئولة عمَّا حدث للبعثة الأثرية والعثور عليك، وأعتقد أنهم سينظِّمون حملةً للبحث عن بقية زملائك.

قال «ماكلاجلن»: أشكركم كثيرًا … ولكن كم من الوقت يكفي لبدء البحث؟ ردَّ «رضوان» على هذا السؤال: لا أدري بالضبط … ولكنَّ المكان الذي هاجمَتْكُم فيه العصابة غير محدودٍ … وسيكون من الصعب البحث في كل هذه المساحة التي تمتدُّ من الحدود الليبية إلى واحة «سيوة» … وبفرض أنهم استطاعوا تدبير طائراتٍ لهذه المهمة فستكون العصابة قد ابتعدَتْ … ويكون من الصعب بعد هبوب هذه العاصفة العثور على آثار المعركة في الرمال.

ماكلاجلن: على كل حالٍ سأبقى معكم بعض الوقت … فإن الأصدقاء الصغار يبحثون عن خريطةٍ هامَّةٍ كانت معهم وفقدوها … وهذه الخريطة تهمني كثيرًا … والعثور عليها قد يؤدِّي إلى كشفٍ أثريٍّ هام.

رضوان: مرحبًا بك.

ماكلاجلن: للأسف إن أوراقي كلها ضاعت … كما ضاعت أدوات الحفر وغيرها من وسائل البحث … ولكني سوف ألجأ إلى السفارة الإنجليزية في القاهرة للحصول على جواز سفرٍ جديد والعودة إلى لندن.

وانتهى «تختخ» من تناول غدائه سريعًا … فقد تذكَّر شيئًا بسيطًا، ولكن ربما كانت له دلالة … تذكر «زنجر» عندما قادهم إلى البئر الجافة … لقد كان يسير أمامهم بمسافةٍ بعيدة … ثم دار حول التلِّ واختفى … ولم ينبح ليدلَّهم على مكانه إلَّا بعد فترة من الوقت.

إن سلوك «زنجر» كان غريبًا بعض الشيء … فهل يُخفي «زنجر» شيئًا؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تستدعي العثور على «زنجر» ولا بد أنه شمَّ رائحة الطعام … ولا بد أنه يدور حول المقطورة.

وخرج «تختخ» وصدق استنتاجه، وكان «زنجر» يجلس بجوار المقطورة في الظل وقد وضع له الطبَّاخ بعض الطعام وانهمك في الأكل.

وقف «تختخ» يرقب «زنجر» وهو يتناول طعامه دون أن يُحدِّثه ... حتى إذا انتهى الكلب الأسود من الطعام قال له «تختخ»: إنك تصرفتَ تصرفاتٍ مريبةً يا «زنجر» منذ ساعات ... ما هي حكاية البئر؟

لم يرد «زنجر» ... ولكنه لعق كميةً كبيرةً من المياه، ثم مضى يسير في اتجاه البئر الجافة ... ومشى «تختخ» خلفه، وقد أحسَّ أن «زنجر» يُخفي شيئًا عنه ... ربما على سبيل المزاح ... وربما لأسباب لا يعرفها ... المهم أنه مضى خلفه، وقد أحسَّ أن مفاجأةً في انتظاره.

احتمالات الأيام القادمة

وصل الكلب الأسود الذكي إلى البئر الجافة ... واختار مكانًا ظليلًا وتمدَّد فيه، وأخذ ينظر إلى صاحبه وهو يُغمض عينَيهِ ويفتحهما كأنه يريد أن يُخفي شيئًا ... وعاد «تختخ» يقول: ماذا حدث لك يا «زنجر»؟

واقترب منه وأخذ يفحص الأرض حوله ... كان واضحًا أن ثمة حفرة قد حُفِرَت بسرعة في المكان الذي ينام فيه «زنجر» ... وربما كان السبب أنه يبحث عن رمالٍ باردة تحت الرمال الساخنة التي على السطح ... وربما لسبب آخَر ... ولمَعَتْ في ذهن «تختخ» فكرة، فصاح: «زنجر» قُم من مكانك!

لم يتحرك «زنجر» ... فعاد «تختخ» يقول: تعالَ هنا!

وفي هذه المرة تحرَّك «زنجر» ... وتقدَّم «تختخ» من المكان الذي كان ينام فيه، وأخذ يدقِّق النظر ... ثم مدَّ يده، وأزاح الرمال ... وعلى عمق سنتيمترات قليلة كانت قطعة القماش القديمة التي يبحثون عنها!

أخرج «تختخ» الخريطة ... ونظَّفها من الرمال العالقة بها، وقال لـ «زنجر»: لماذا فعلت هذا؟

لم يرد «زنجر» ... ولكنه أخذ يُطلق نباحًا خافتًا حزينًا ... وأحسَّ «تختخ» أن كلبه يريد أن ينقل له رسالة ما ... ولكنه لم يهتم ... كان سعيدًا لأنه وجد الخريطة، وهذا يعني أن حدثًا مثيرًا سوف يقع الآن ... هو العثورُ على «وادي المساخيط»، وفكُّ طلاسمه ... بل من الممكن عن طريق الخريطة الوصول إلى مكان عصابة الرجل الأزرق، والقبض عليهم جميعًا.

وعاد «تختخ» مُسرعًا إلى المعسكر ... ولاحظ بدهشةٍ أن «زنجر» بقي مكانه في الظل ... ولكنه — مرةً أخرى — لم يهتم.

عندما وصل إلى المعسكر وجد المغامِرينَ الأربعة يقطعون المسافة بين البئر والمقطورة باحثِينَ مدقِّقِينَ في الأرض برغم الشمس الحامية ... والريح ... وكان العمال يقومون بعملهم، ولم يكن هناك أثرٌ للمهندس «رضوان» ولا «كوكس» ولا «ماكلاجلن» ... وتقدم «تختخ» إليهم قائلًا: ألم تعثروا على الخريطة بعد؟

عاطف: لقد عثرنا عليها ولكننا الآن نبحث عن البترول.

وضحك «تختخ» وقال: إنكم تتَّبعون وسائل قديمة في البحث ... لقد عثرتُ عليها بمجرد الاستنتاج.

وأسرع الأربعة إلى «تختخ» الذي روى لهم ما حدث مع «زنجر»، فانهالت الأسئلة والتعليقات من كل جانبٍ ... لماذا فعل «زنجر» هذا؟ هل يريد أن يُقدِّم لنا لغزًا من إنتاجه؟ لا بد من معاقبة هذا الكلب على ما فعل.

وأشار «تختخ» بيده وقال: لا بد أن عند «زنجر» سببًا ليفعل ما فعل، دعونا منه الآن ... المهم أين «ماكلاجلن»؟

نوسة: لقد قال إنه سيدخل المقطورة ليرتاح ... وإذا عثرنا على الخريطة فلنبلغه فورًا.

نظر «تختخ» إلى ساعته ... كانت الثالثة تقريبًا، فقال: دعوه يرتاح أطول وقتٍ ممكن، فقد لاقى متاعب قاسيةً ... وتعالوا نجتمع في المقطورة ... نناقش هذه الخريطة ... وما سنفعله بها.

لوزة: ماذا سنفعل إلا أن نُسلمها لـ «ماكلاجلن» ... ثم نصحبه إلى «وادي المساخيط»!

تختخ: إن «ماكلاجلن» برغم هذه الخريطة، قد لا يستطيع الوصول إلى الوادي ... إننا في حاجةٍ لمعونة الأعرابي ... ثم هناك الخوف من ألَّا يسمح لنا خالي «رضوان» أن نذهب إلى الوادي مرة أخرى.

لوزة: إنني لا بدَّ أن أذهب ... لقد رأيته أنت و«محب» فقط، ومن حقِّنا أنا و«عاطف» و«نوسة» أن نذهب لنراه!

تختخ: إنني غير معترضٍ يا «لوزة»، المهم موافقة خالي المهندس «رضوان» فهو قائد هذا المكان ... ومن واجبه أن يحافظ على كل من فيه ... خاصةً نحن؛ لأنه هو الذي أحضرنا إلى هذا المكان.

دخلوا المقطورة وجلسوا، ووضعوا الخريطة أمامهم ... ومرةً أخرى أخذ كلٌّ منهم ينظر إلى الكتابة التي على ظهر الخريطة ... وتأكَّدوا هذه المرة أنها مكتوبةٌ بلغةٍ غريبةٍ عنهم، أكثر من هذا، وأن مَن كتبها قصد أن يترك بينها فجواتٍ ... بحيث لا يستطيع قراءتها إلا مَن يفهم سرها.

قال «تختخ»: إذا استطاع «ماكلاجلن» قراءة هذه اللغة ... فسيتمكَّن فعلًا من فحص الآثار التي بـ «وادي المساخيط» ... كذلك إذا استطاع الأعرابي أن يدلَّنا على مكانها بما له من خبرةٍ بدروب الصحراء.

محب: دعونا نرى أولًا ماذا سيقول «ماكلاجلن» والأعرابي.

تختخ: بعد ساعةٍ بالضبط سوف نذهب إليهما ...

وفي هذه الساعة ... وقبل أن يُتمَّ «تختخ» جملته، ظهر «زنجر» عند باب المقطورة ... والتفتَ إليه الأصدقاء جميعًا، وقالت «لوزة»: تعالَ أيها الثعلب اللئيم ... ماذا فعلْتَ بنا؟

أحنى «زنجر» رأسه ... ثم قفز السلالم الخشبية ودخل المقطورة، ولدهشة الأصدقاء اقترب من الخريطة، وأخذ يتشمَّمها بشدة ... ثم يلوي عنقه وينظر إلى الخارج ... ويتجه إلى الباب ثم يعود.

تختخ: ماذا جرى يا «زنجر»؟ إنك لم تتصرف هكذا من قبل أبدًا؟!

اقتربت «لوزة» من الكلب الأسود الذكي، وأخذت تربت على رأسه، ثم قالت: إنه يرتعد ... وأعتقد أنه حائرٌ ... أو خائف من شيءٍ ما.

نوسة: كيف تُسبِّب له هذه القطعة من القماش هذا الذي تقولينه يا «لوزة»؟ لماذا يخاف؟ ولماذا يُصاب بالحيرة؟!

لوزة: لا أدري ... ولكن هذا بالضبط ما أحسَسْتُه من تصرُّفاته ومن ارتعاد جسده.

مضى الأصدقاء في حديثهم حول الخريطة ... لم تكن هناك استنتاجات غير ما قاله «تختخ»، ولم يَعُد أمامهم إلا الانتظار حتى يراها العالِم الإنجليزي «ماكلاجلن» ... وبعد مرور ساعة بالضبط، اتَّجه الجميع إلى المقطورة التي ينزل بها «ماكلاجلن» والأعرابي، كان «تختخ» معه الخريطة، فسار في المقدمة ... وقرَّر ألا يوقظ الرجل إذا كان لا يزال نائمًا ... ولحسن الحظ عندما اقترب من المقطورة سمع حديثًا ... وعرف أن الرجلَين قد استيقظا ... فدقَّ على باب المقطورة ... وسمع صوت الأعرابي يسأل: من؟

قال «تختخ»: أنا «توفيق».

وفتح الباب ... وكان الأعرابي يقف خلفه، فلما شاهد «تختخ» وبيده الخريطة ... صاح: لقد وجدوها؟!

وسمع «تختخ» صوت أقدام العالِم وهو يجري داخل المقطورة ... وأطلَّ وجهه المبتهج وهو يقول: هل وجدتموها حقًّا؟

تختخ: نعم ... لقد قام كلبنا الذكي بلعبةٍ مضحكةٍ معنا، ولا ندري لماذا قام بإخفاء الخريطة تحت الرمال.

أفسح «ماكلاجلن» الطريق لـ «تختخ» ... فدخل وخلفه الأصدقاء، وجلسوا جميعًا يرقبون «ماكلاجلن» وهو يتأمَّل الخريطة ... ثم دفع بها إلى الأعرابي موجِّهًا حديثه إلى «تختخ»: قل له هل من الممكن أن يتعرَّف على المكان؟

جلس «تختخ» بجوار الأعرابي، ومدَّ يده له بالخريطة، وقال له، هل تستطيع أن تعرف طريقك إلى هذا المكان!

وأشار «تختخ» إلى رسم التماثيل المشوَّه الموجود في نهاية الخريطة، فأخذ الأعرابي يتأمله لحظات ثم قال وهو يُشير بأصابعه إلى أماكن الآبار: هذه العلامات تدلُّ على آبارٍ جافةٍ، وبعضها يدلُّ على وجود بعض النباتات الصحراوية ... وهذا الطريق يأتي من نهاية الصحراء الجزائرية مارًّا بالصحراء الليبية حتى الوصول إلى الصحراء المصرية، حيث يقع «وادي المساخيط».

تختخ: هل سمعتَ عن «وادي المساخيط» من قبل؟

الأعرابي: بالطبع أسمعُ عنه ... تُثار حوله أساطير كثيرةٌ ... ولكن هذه أول مرة أرى فيها رسمًا له.

تختخ: وهل نحن على مسافةٍ بعيدةٍ منه؟

فكَّر الأعرابي لحظات ثم قال: نعم ... إنها لا تقلُّ عن مسيرة يومٍ كامل بالناقة؛ لأننا سنتجه جنوبًا حتى الحدود المصرية الليبية، ثم ننحرف يسارًا لنتبع الآبار حتى الوصول إلى الوادي.

قام «تختخ» بترجمة حديث الأعرابي إلى «ماكلاجلن» الذي قال مبتهجًا: عظيم، إننا نستطيع أن نبدأ غدًا.

تدخَّلت «لوزة» في الحديث قائلةً: نريد أن نذهب معك.

قال «ماكلاجلن» ضاحكًا: أنت يا صغيرتي؟! إن الرحلة ستكون شاقةً جدًّا عليكِ، يكفي واحدٌ منكم ... أو فلتبقوا جميعًا، وسأذهب أنا مع «مولود»!

قال «تختخ»: إننا مُصرُّون على الذهاب ... فنحن الذين وجدنا الخريطة ... وسنحتفظ بها حتى نعثر على «وادي المساخيط» ... المشكلة أن يوافق خالي على الرحلة!

ماكلاجلن: المشكلة الثانية أن نوفر ما يكفي من النياق لتحملكم جميعًا ... ليس معنا هنا سوى ناقةٍ واحدةٍ، هي ناقة «مولود»، وهي لا تستطيع أن تحمل أكثر من شخصَين.

تختخ: سأحاول التفاهم مع خالي المهندس «رضوان» ... ومن الممكن أن يذهب «مولود» ويُحضر لنا عددًا من النياق من قبيلته العربية.

وتحوَّل «تختخ» محدثًا «مولود» وسأله: هل يمكنك توفير عدد من النياق للرحلة إلى «وادي المساخيط»؟! إننا نريد أن نذهب معكما.

هزَّ «مولود» رأسه ... ولم يرد ... ثم قال بعد لحظاتٍ: سأحاول ... وبعد ساعة ستكون الشمس قد مالت للمغيب ... ويمكنني أن أخرج وأعود لكم في الفجر بالنياق المطلوبة.

تختخ: يبقى أن نحصل على موافقة خالي «رضوان»!

شبح البرِّيمة الأسود

وافق المهندس «رضوان» على أن يقوم المغامرون بالرحلة ... والمدهش أن مستر «كوكس» تمسَّك بأن يذهب معهم قائلًا: إنها فرصةٌ لا يمكن أن أتركها تُفْلِت ... ولقد رأيت مئات من آبار البترول تُكْتَشَف ... ولكنني لم أحضر أبدًا اكتشاف وادٍ أثريٍّ ... وقد لا تُتاح الفرصة مرةً أخرى.

قال المهندس «رضوان»: لا بأس ... ولكن أرجو ألَّا تتأخروا كثيرًا ... فسوف تأتي الطائرة بعد غد، ولا بد من إعادة الأولاد إلى «المعادي».

قال «تختخ»: لا تخشَ علينا كثيرًا يا خالي ... نستطيع أن نُرسل إلى «المعادي» رسالة أننا سنتأخر.

رضوان: لا ... بعد تجربة «وادي المساخيط» ... لن أُكرر الدعوة مرة أخرى.

تمَّ الاتفاق على كل شيءٍ، وانطلق الأعرابي «مولود» في المساء على ناقته، وودَّعه الأصدقاء.

واجتمع المغامرون مع «ماكلاجلن» بعد العشاء في المقطورة التي يُقيم فيها ... ووضعوا الخريطة أمامه، وأخذوا يستمعون إليه وهو يتحدث عن احتمالات «وادي المساخيط»، فقال: يصعب أن نقول تاريخيًّا ما هو «وادي المساخيط» ... وما هو سرُّ التماثيل الحجرية التي توجد به ... وهناك احتمالان ... أن يكونوا من جنود «الإسكندر الأكبر» عندما ذهب إلى معبد الوحي في «سيوة»، أو يكونوا من جنود «قمبيز» القائد الفارسي، الذي حاول غزو الشمال الأفريقي ... فدُفن تحت الرمال ٤٠ ألفًا من رجاله دون أن يُحقِّقوا غرضهم.

قالت «نوسة»: لقد قرأتُ بعض الكتب عن هذا الموضوع ... والمهم، هل تعتقد أن كشف حقيقة «وادي المساخيط» له قيمةٌ تاريخية فقط ... أم له قيمة ماديَّة أيضًا؟! أي إنه من الممكن أن تكون هناك كنوز من الذهب والمجوهرات في هذا المكان؟

لمعت عينا «ماكلاجلن» لأول مرة، وقال مبتسمًا: إن القيمة التاريخية لكشف «وادي المساخيط» لا تُقدَّر بثمنٍ ... واحتمال وجود كنوز ذهبيةٍ أو من الجواهر احتمال ضعيفٌ.

ونظر «ماكلاجلن» إلى ساعته ثم قال: من الأفضل أن ننام مبكرًا، فسوف يعود «مولود» في الفجر، ولا بد أن نكون جاهزِينَ في هذا الوقت.

كانت الخريطة على المائدة، ولا يدري «تختخ» لماذا وجد يده تمتدُّ فتتناول الخريطة ويضعها في جيبه ... في نفس الوقت التي كانت يد «ماكلاجلن» تمتدُّ لتأخذها، ونظر كلٌّ منهما إلى الآخَر. وقال «تختخ»: لقد حصلنا على هذه الخريطة بعد أن تعرَّضنا للموت ... وأعتقد أننا يجب أن نحتفظ بها.

وابتسم «ماكلاجلن» وقال: بالطبع ... بالطبع.

وتبادلوا تحية المساء ... وخرج المغامرون الخمسة إلى المقطورة التي ينزلون بها، وعندما اقتربوا من المقطورة قال «تختخ» ... موجِّهًا حديثه إلى «محب»: إنني أُريد أن أتحدَّث إليك قليلًا يا «محب» ... أريد أن أضع بعض الترتيبات لرحلة الغد.

وفهم بقية المغامرين أن «تختخ» يريد أن ينفرد بـ «محب» فتركوهما، وسارا معًا تحت ضوء القمر الصغير.

سارا معًا حتى البرِّيمة ... كانت تبدو في الظلام والضوء البعيد للقمر كأنها حيوانٌ خرافيٌّ يقف ساكنًا ... واختارا مكانًا جلسا فيه معًا ... وأخذا يتحدثان ... وطال حديثهما بعض الوقت ... وفجأةً قال «محب»: انظر يا «تختخ»!

ونظر «تختخ» إلى حيث أشار «محب» كان يُشير إلى مقطورة الأصدقاء، ولاحظ أن شبحًا يلفُّه الظلام يدور حول المقطورة ... ثم يقترب منها ويلتصق بها ... كأنما يتسمع إلى حديث مَن فيها.

قام «محب» واقفًا ... ولكن «تختخ» وضع يده على ذراعه، وطلب أن ينتظر ثم قال: اذهب أنت ناحية اليمين، وأنا ناحية اليسار ... وسوف نحاول محاصرة الشبح بحيث لا يستطيع الهرب!

انطلق الصديقان كفهدَينِ أُطلِقا من عقالهما ... وكانت مجموعة المقطورات مرصوصة على شكل حدوة الحصان ... وكانت مقطورة الأصدقاء تقع في المنتصف تقريبًا، وبالطبع كان عليهما أن يدورا حول الحدوة من الخارج حتى لا يراهما الشبح ... ولحسن الحظ مرَّت سحابةٌ ثقيلةٌ على وجه القمر ... فأظلم المكان تمامًا ... ولم يعد هناك إلا ضوء النجوم البعيدة.

أسرع الصديقان يجريان في نصف دائرة؛ ليضعا الشبح في المصيدة ... وعندما اقتربا من منتصف المعسكر ... اجتازا المقطورات للدخول إلى الساحة التي تتوسط المعسكر ... فلا يكون للشبح وسيلة للإفلات ... وقد نجحَتِ الخطة تمامًا، ولكن الشبح الذي كان يتصنَّت فعلًا على المقطورة، أسرع بالهرب جريًا ... ولم يكن أمامه إلا أن يجري ناحية البرِّيمة.

أسرع الصديقان خلفه ... ولم يكن لأقدام الثلاثة أدنى صوتٍ على الرمال ... وكان سكان المعسكر من المهندسِينَ والعمال قد استسلموا للنوم بعد عمل اليوم الشاق ... فلم يكن هناك مَن يرى المطاردة المثيرة التي كانت تتمُّ في الظلام.

أسرع الشبح نحو البرِّيمة ... وكان «محب» أسرع من «تختخ» بالطبع، وبالتالي كان أقرب منه إلى الشبح الذي أسرع يختفي بين آلات البرِّيمة الضخمة ... كانت مجموعة كبيرة من آلات الرفع والجر، وبينها بكرات الأسلاك الصلب الضخمة ... وكلها سوداء، بحيث كانت تمثل أحسن مخبأ للشبح.

اقترب «محب» ببطءٍ من البرِّيمة، ودار حول مجموعة الآلات ... وفجأة — وقبل أن ينتبه — أحسَّ بضربةٍ قويةٍ نزلت على رأسه، فدار حول نفسه ثم سقط على الأرض.

وصل «تختخ» في هذه اللحظة ... وشاهد «محب» وهو يسقط ... فانقضَّ على الشبح الذي أسرع يتسلَّق سلالم البرِّيمة بسرعة البرق ... وأسرع «تختخ» يتسلَّق السلم هو الآخَر ... ولكن الشبح كان أسرع ... ولم تساعد «تختخ» سمنته في أن يلحق به ... وهكذا وجد نفسه يصعد في الظلام دون أن يدري أو يرى شيئًا ... حتى إذا وصل إلى قمة برج البرِّيمة أحسَّ بذراع تطوق عنقه ... وتجذبه بكل قوة لتلصق رقبته بالحديد ... قاوم «تختخ» بكل ما يملك من قوة، ومدَّ ذراعَيهِ إلى الخلف للإمساك بالذراع الحديدية التي كانت تخنقه ... ولكن عبثًا حاول ... فقد كانت حركة ذراعَيهِ ضد اتجاههما الصحيح ... وكان من الصعب عليه التحكُّم فيهما ... وتذكَّر حركة من حركات الكاراتيه شاهدها في السينما ... هي دفع الأصابع ناحية عين الخصم ... في محاولة لإبعاده، وإبعاد ذراعه، بالتالي عن رقبته ... وفعلًا وجَّه أصابع يده اليمنى في الاتجاه الذي يتصوَّر أنه وجه الشبح ... وفعلًا اصطدمَتْ أصابعه بالعينَينِ ... فثنى الشبح رأسه إلى الخلف ... وخفَّ الضغط قليلًا على رقبة «تختخ» الذي جذب الذراع الحديدية بيده اليسرى ... واستطاع أن يخلِّص رقبته بعد أن كاد يختنق.

وعندما استدار «تختخ» ليرى الشبح ... وجده ينزل سلالم البرِّيمة مسرعًا فنزل خلفه ... ولكن عندما وصل إلى الأرض لم يكن هناك شيءٌ على الإطلاق ... وكان الشبح قد اختفى كأنما ذاب في الظلام!

انحنى «تختخ» على «محب» وسمعه يتأوَّه ... وتذكَّر في هذه اللحظة «زنجر»، وأدهشه غيابه عن مثل هذه المعركة التي كانت تحتاج إلى سرعته ومهارته في المطاردة.

انحنى «تختخ» على «محب» ورفعه من تحت إبطَيهِ ... وأخذ يُناديه، وهو يجلسه بجوار قاعدة البرِّيمة ... وأخذ «محب» يفيق تدريجيًّا، وقال: ماذا حدث؟ ردَّ «تختخ»: لقد استطاع الشبح أن يضربك بشيءٍ على رأسك، ورأيتك وأنت تهوي على الأرض ... ولكنني فضَّلْتُ مطاردة الشبح فوق برج البرِّيمة ... وبعد اشتباكٍ ضعيفٍ معه استطاع أن يهرب مني.

محب: هل عرفتَ مَن هو؟

تختخ: لا ... لقد كان ملثَّمًا تمامًا ... ولم أستطع رؤية وجهه في الظلام.

محب: شيءٌ غريب ... من أين أتى هذا العدو الخفي؟

تختخ: لا أدري ... ولكن من الواضح أننا يجب أن نكون على حذرٍ ... ولعل الرجل الأزرق قد أرسل بعض رجاله للبحث عن الخريطة المفقودة، فمن المؤكد أنها تهمُّه.

بمساعدة «تختخ» قام «محب» واقفًا ... وسار مترنِّحًا إلى المقطورة ... وكان بقية المغامرين قد ناموا ... وقال «محب» متسائلًا: أين «زنجر»؟!

تختخ: هذا ما فكرتُ فيه منذ لحظات ... أين ذهب هذا الكلب ... لقد أصبح غريب الأطوار منذ جئنا إلى هنا!

محب: إنني لم أرَه منذ المساء!

تختخ: لا أدري ماذا سنفعل إذا لم يَعُد الكلب ... خاصة وهو يمثِّل ركنًا هامًّا من خطتنا في الأيام القادمة.

محب: هل ستروي قصة الشبح لخالك المهندس «رضوان»؟

تختخ: لا ... وإلَّا فإنه لن يسمح لنا بالذهاب إلى «وادي المساخيط» إذا استشعر أي خطرٍ علينا.

في هذه اللحظة سمعا همهمةً خافتة ... وظهر «زنجر» عند مدخل المقطورة، وكان واضحًا أنه يلهث ... وأنه جاء جريًا من مكانٍ بعيد.

قطعة من القماش الأزرق

وقف «زنجر» يلهث لحظات ... وأسرع إليه «تختخ» وأخذ يربت عليه قائلًا: ماذا جرى يا «زنجر»؟ إنك تتصرف هذه الأيام بطريقةٍ غريبةٍ ... أين كنت الآن؟!

أخذ «زنجر» يرتعد، وهو يتمسَّح في «تختخ»، وكان واضحًا أن الكلب قد مرَّ بمغامرةٍ عنيفة لا يستطيع الإفصاح عنها ... ولم يكن في إمكان «تختخ» أن يفهم شيئًا من تصرُّفاته هذه المرة ... فهو يتصرَّف مستقلًّا عن المغامِرينَ الخمسة، وكأنه قد عثر على لغزٍ يريد أن يحلَّه وحده.

قال «تختخ»: سننام الآن يا «زنجر» فسوف نرحل في الفجر.

وفهم الكلب الذكي وهو يرى «تختخ» يُغير ثيابه ... و«محب» يضع بعض الضمادات الباردة على رأسه، أنه غير مرغوبٍ فيه ... فغادر المقطورة، وقال «محب»: ماذا حدث لـ «زنجر»؟ هذه أول مرة أراك لا تفهمه!

تختخ: لا أدري في الحقيقة ما حدث ... لقد أخفى الخريطة أولًا ... ثم اختفى ثانيًا دون أن نعرف مكانه ... وها هو ذا يعود مُرهَقًا كأنه اشترك في مغامرةٍ مثيرةٍ ... ولو كنا في مكانٍ آهِلٍ بالسكان لاستطعنا أن نعرف شيئًا ... ولكن في هذه الصحراء الواسعة ليس علينا إلا أن ننتظر.

محب: هل أنفِّذ ما اتفقنا عليه؟

تختخ: بالطبع ... بل إنني بعد تصرُّفات «زنجر» أعتقد أن خطتنا هي الخطة الوحيدة الممكنة في هذه الظروف.

ونام الصديقان ... وفي الظلام تقدَّم شبح الليل الغامض، ولكن «زنجر» هذه المرة كان موجودًا ... فلم يكد يحسُّ بأقدامه تقترب من المقطورة حتى زام مهدِّدًا ... وابتعد الشبح.

في الفجر استيقظ الجميع ... كان «مولود» قد عاد ومعه ثمانٍ من النياق القوية ... ولبس الجميع ثيابهم عدا «محب»، فقد أثَّرت عليه الضربة التي تلقَّاها ليلًا ... ولم يكن مستعدًّا للرحيل ... وكان ذلك خبرًا سيئًا بالنسبة للمغامرين ... وزاد الأمر سوءًا أن «تختخ» طلب من «زنجر» أن يبقى مع «محب» قائلًا: لقد أصبح «زنجر» يتصرَّف تصرُّفاتٍ غير مفهومة، وأخشى أن يعطِّلنا عن أداء مهمتنا.

وتحركت القافلة ... «مولود» في المقدمة، وبجواره «ماكلاجلن» ... ثم «كوكس» وبجواره «نوسة» ... ثم «تختخ» وبجواره «لوزة» و«عاطف».

كان الجو جميلًا في الفجر ... ومضَتِ القافلة في طريقها ... يقودها «مولود» بعد أن أخذ الخريطة معه ... وظل السير سريعًا حتى ارتفعَتِ الشمس في الأفق، وبدأت «لوزة» تحسُّ بآلامٍ في عظامها ... إنها لم تركب ناقةً من قبلُ ... وركوب النياق ليس مسألةً سهلة ... فهي تحتاج إلى مرانٍ طويلٍ حتى يعتادها الجسم، ولم تكن «لوزة» وحدها هي التي شعرَتْ بهذا التعب ... لقد بدا الإرهاق على الجميع عدا «مولود» و«ماكلاجلن».

وأخذت «لوزة» تفكِّر في هذه المغامرة المرهقة ... وتتمنَّى لو كانت في هذه اللحظة في منزلهم بالمعادي ... تأخذ حمَّامًا باردًا ... وتأوي إلى فراشها بعد أن تشرب كوبًا من عصير الليمون.

ولكن هذه الخواطر كانت مجرد أحلامٍ ... فلم يكن هناك سوى الشمس الحارقة والرمال الساخنة تمتدُّ إلى ما لا نهاية ... وحركات الناقة إلى الأمام والخلف ... الأمام والخلف ... الأمام والخلف ... وعظامها تؤلمها ... وتسأل نفسها متى ينتهي هذا العذاب؟!

وصاحَتْ تسأل «تختخ»: متى نصل إلى الوادي؟

ردَّ «تختخ»: لا أدري ... ولكني أتمنَّى الآن لو كنتُ في المعادي.

وأكملت «لوزة» الجملة: تشرب كوبًا من عصير الليمون ... وتأوي إلى فراشك.

تختخ: تمامًا، تمامًا!

ابتسمَتْ «لوزة» رغم إرهاقها ... وازدادَتِ ابتسامتها اتساعًا عندما رأَتْ ذراع «مولود» ترتفع إلى فوق ... وفهمَتْ أنه يطلب منهم التوقُّف.

كانوا بجوار جبلٍ مرتفع من الرمال ... قد ألقى ظلًّا رفيعًا مستطيلًا ... وأدركَتْ أنهم توقفوا للغداء ... ولم تكن بها أية رغبةٍ في تناول الطعام ... كان كل ما تتمناه كوبًا من الماء ... بل عشر أكواب من الماء.

ولم تستطع في البداية أن تُنيخ الناقة ... ولكن الناقة أدركَتْ بتجاربها الطويلة أن عليها أن تنيخ ... فهبطَتْ بساقَيْها الأماميتَينِ ... وكادت «لوزة» تسقط على وجهها، ولكن الناقة نزلت بساقيها الخلفيتَينِ ... ووجدت «لوزة» نفسها لا تكاد تستطيع النزول ... فلما تمكَّنَتْ في النهاية أن تميل إلى الجانب الأيمن ... ألقَتْ بنفسها على الرمال.

اجتمعَتِ القافلة الصغيرة ... وحمل «مولود» قربة من الماء، وكوبًا من الجلد السميك، ومرَّ بهم جميعًا يسقيهم، ولاحظَتْ «لوزة» لدهشتها الشديدة أن «مولود» لم يتوقف عند «ماكلاجلن» ليسقيه ... بل مرَّ به سريعًا وتجاهله واتجه إلى «كوكس» ... وقالت «لوزة» في نفسها: لا بد أن عند «ماكلاجلن» قربة خاصة به!

وبعد أن تناولت جرعة الماء القليلة التي أعطاها لها «مولود» أحسَّت ببعض الراحة، ثم جلسَتْ في الظل الخفيف تفكِّر ... وكان «تختخ» يجلس بجوارها ساكتًا ... ثم قال لها فجأة: أليس طعم الماء متغيِّرًا قليلًا؟!

ردَّت «لوزة» التي تذكَّرَتْ نفس الشيء: أظن أنه طعم القربة والكوب الجلدي! سرح «تختخ» لحظات ولم يرد ... وعاد «مولود» يوزِّع عليهم بعض الخبز الجاف وحبات الزيتون الأسود قائلًا: في المساء ... ستتناولون وجبةً ساخنة وسوف تكونون ضيوف القبيلة!

سألت «لوزة»: كم من الوقت سنمضي هنا؟

ردَّ «مولود»: ثلاث ساعات ... حتى تبدأ الشمس تبرد!

أحسَّت «لوزة» بالضيق ... كيف يمكن قضاء ثلاث ساعات في هذا الفرن؟! فالظل الخفيف الذي كانوا يجلسون فيه، لم يكن يمنع عنهم حرَّ الصحراء اللافح ... وأخذت تنظر إلى «تختخ» ... وهو ينظر لها ... ولاحظت شيئًا غريبًا ... لقد أخرج «تختخ» من جيبه قطعة من القماش الأزرق ... تذكَّرَتْ أنها من قميص له بنفس اللون ... وأخذت ترقبه وهو يدفن القطعة في الرمال لا يترك منها أثرًا ظاهرًا سوى طرف في حجم الكف ...

وكادت تسأله عمَّا يفعل ... ولكنه أشار إليها أن تسكت، ثم أشار إليها أن تنتقل من مكانها إلى يساره.

دُهشت «لوزة» لما يفعل «تختخ»، ولكنها امتثلت لأوامره ... فقد كانت تشعر أنها مسلوبة الإرادة تمامًا ... وأن ستارًا كثيفًا من السواد يهبط على ذهنها ... وعندما وقفَتْ شعرَتْ أنها ستفقد توازنها ... وأنها أصبحت ترى كل شيءٍ مزدوجًا.

اقتربت من «تختخ» مترنِّحةً ... وقالت بصوتٍ واهن: «توفيق» ... لقد أُصِبتُ — فيما أظن — بضربة شمس!

سمعَتْ «تختخ» يردُّ عليها، ولكنها لم تسمع ما قال ... فقد أحسَّتْ أنها تهبط في بئر عميقةٍ ... عميقةٍ ... وأنها لم تعد تسمع شيئًا إلا ما يشبه هدير الأمواج البعيد.

ظل «تختخ» يقاوم نفس الإحساس التي شعرت به «لوزة» ... ولكن مقاومته لم تستمر طويلًا ... لقد استسلم هو أيضًا إلى غيبوبةٍ كثيفةٍ ... وكان يفكر وهو يفقد وعيه تدريجيًّا ... إنه توقَّع شيئًا ما يحدث ... ولكنه لم يتوقع أن يحدث بهذه السرعة.

عندما استيقظت «لوزة» كان الظلام يلفُّ المكان الذي تنام فيه ... ظلامٌ كاملٌ ليس فيه بارقة ضوء ... كانت تستيقظ تدريجيًّا كأنها قادمةٌ من مكانٍ بعيدٍ ... بعيد، وأخذَتْ تتذكَّر ما حدث، الرحلة في الفجر ... راحة الظهيرة ... كوب الماء المتغير المذاق ... حديثها مع «تختخ»، وعندما تذكَّرَتْ «تختخ» ... عاد الاطمئنان إلى نفسها تدريجيًّا ... إنها ليست وحيدةً ... وقالت: «تختخ»!

وسمعت على الفور صوت «تختخ» يردُّ: «لوزة»!

لوزة: ماذا جرى؟

تختخ: لقد دسَّا لنا مُخدِّرًا في المياه التي شربناها!

لوزة: مَن هما؟

تختخ: «ماكلاجلن» و«مولود»!

ذُهِلَت «لوزة» وقالت: «ماكلاجلن» العالم الإنجليزي؟!

تختخ: أظن أنه ليس عالمًا ... أو هو عالِمٌ انحرف عن رسالة العلم لأسباب لا أعرفها.

لوزة: وأين نحن الآن؟

تختخ: على الأغلب في «وادي المساخيط»!

لوزة: «وادي المساخيط»؟!

تختخ: نعم ... إنه المكان الوحيد في هذه الأنحاء التي تُوجد به مثل هذه الكهوف.

لوزة: وأين «نوسة»؟

تختخ: لا أدري ... ولكنها بالتأكيد في مكانٍ قريبٍ.

وسمعا في هذه اللحظة صوت خطوات ترنُّ في الصمت ... كان واضحًا أنهما في كهفٍ حقًّا ... فقد كانت الأرض صلبةً ... وكان لصوت الأقدام صدى مرعب ... ثم بدا ضوءٌ بعيدٌ يقترب ... ومرَّت لحظات ... وصدى صوت الأقدام يزداد اقترابًا ثم ظهرَتْ شعلةٌ من النار في طرف عصا ... وعلى الضوء الناري ظهر وجه «مولود» كأنه شيطانٌ ... وكان مفتوح الفم في ابتسامةٍ أشبه بتكشيرة أسدٍ جائع.

لغز الرجل الأزرق

قال «مولود» وهو يبتسم: إن الزعيم يطلب أن يراكما!

لم يرد «تختخ» ولا «لوزة»، بل قاما يسيران ... كانت «لوزة» ما تزال تشعر بالدُّوار ... ولكنها متماسكةٌ ... وكانت تفكِّر أن هذه أغرب مغامرةٍ مرَّتْ بها في حياتها ...

وكانت برغم كل شيء تشعر بنوع من الاستمتاع بهذا الجو الغريب.

وسارا خلف «مولود» خلال دهاليز صخرية مظلمة ... تُضيئها مشاعل متباعدة، ولا يُسمع فيها سوى رنين الأقدام ... ونزلوا سلالم منحوتة في الصخر ... ثم انحرفوا يمينًا ... وبدأت بعض الأصوات تتَّضح ... كأنما حديث يدور من بعيدٍ ... ثم ازدادت الإضاءة، وزاد عدد المشاعل ... وبدأ بعض الأشخاص يظهرون ... كانوا جميعًا من الأعراب الملثَّمِينَ ... أقوياء البنية ... يحملون خناجر مُعلَّقةً في خصورهم ... وظهر باب واسعٌ من بعيد ... وقف عليه رجلان كحارسَينِ ... ومضى «مولود» وخلفه «تختخ» و«لوزة» ... حتى دخلا الغرفة.

كانت غرفةً واسعةً منحوتة في الصخر ... قد فُرِشتَ على الطراز العربي ... تضيئها عشرات المشاعل المتراقصة ... وبها منافذ عالية للتهوية ... وفي وسط القاعدة بجوار الجدار ... كانت هناك مفاجأةٌ في انتظار «لوزة» ... فقد كان «ماكلاجلن» يجلس على كرسيٍّ ضخم ... ولكن ليس «ماكلاجلن» الذي عرفَتْهُ في الملابس الإفرنجية؛ فقد كان يرتدي الملابس العربية ... ولدهشة «لوزة» الشديدة كان لونه أزرق ... لون جلده ... تصوَّرَتْ «لوزة» أنها أخطأَتْ ... فأخذت تُغمض عينَيْها وتفتحهما ... ولكن من المؤكَّد أنه «ماكلاجلن» برغم اللون الأزرق الذي وضعه على وجهه، والملابس العربية التي يرتديها!

وأمسكت «لوزة» بذراع «تختخ» وقالت: إنه «ماكلاجلن»!

ردَّ «تختخ»: نعم ... إنه «ماكلاجلن» أو الزعيم الأزرق، فكلاهما شخصٌ واحد.

لوزة: غير معقول.

همس «تختخ»: بل هو المعقول الوحيد ... فعندما عرف الزعيم الأزرق أن الخريطة قد ضاعَتْ منه فكَّر أننا لا بد أن نكون قد حصلنا عليها ... وهكذا تخلَّى عن شخصية الزعيم الأزرق، وتقمَّص شخصية العالِم، وحضر إلينا ... وكنا من الغباء بحيث قلنا له إننا عثرنا على الخريطة فعلًا ... وهكذا وضع خطته لاستعادتها ... ليس هذا فقط ... ولكن القبض على كل مَن شاهد «وادي المساخيط».

لوزة: ولكن «محب» ... ما زال بعيدًا.

قال «تختخ»: هذه كانت خُطتي ... أن يظل واحد منَّا بعيدًا؛ ليتدخل في الوقت المناسب ... وقد كانت إصابة «محب» سببًا معقولًا ليتخلَّف عنا.

كانا يتحدثان وهما واقفان بالباب ... بينما تقدَّم «مولود» وتحدَّث مع «ماكلاجلن» أو الزعيم الأزرق ... الذي أشار له بيده ... فانصرف على الفور.

كان الرجل الأزرق يبتسم في ثقةٍ ... وينظر إلى «تختخ» في سخريةٍ ... ثم أشار بيده فاقترب «تختخ» و«لوزة».

وقال «تختخ» على الفور: أين بقية أصدقائنا؟ ردَّ الزعيم الأزرق باللغة العربية: إنهم جميعًا في خير ... وسيحضرون فورًا.

قال «تختخ»: أرجو أن تعرف أنني شككتُ في شخصيتك ... ولكن للأسف شكوكي جاءت متأخرةً.

الرجل الأزرق: وكيف شككتَ؟

تختخ: عندما اقتربتُ من المقطورة التي كنتَ بها أنت و«مولود» سمعتُ حديثًا، والمفروض أنك لا تعرف العربية ... ولا «مولود» يعرف الإنجليزية ... والحديث بالطبع لا يدور بين شخصَينِ لا يفهم أحدهما الآخَر.

ضحك الزعيم وقال: إنك شديد الذكاء ... هل هناك أسباب أخرى؟

تختخ: إنك كنتَ شبحَ ليلةِ أمس الذي طاردناه في الظلام ... فلم يكن في المعسكر شخصٌ يمكن أن يهتم بالخريطة سواك؛ لأن «مولود» كان بعيدًا ... وقد كنتَ تتجسَّس علينا، وتحاول أن تجد فرصة لسرقة الخريطة.

قال الزعيم: إنك ولدٌ شديد الذكاء ... ولكن ذكاءك لم ينقذك من أن تقع أنت وأصدقاؤك في يدي.

أخفى «تختخ» ابتسامةً كادت تصعد إلى شفتيه، وقال: نعم، لقد كنت أذكى منَّا، وفي هذه اللحظة دخل «كوكس» ... و«عاطف» و«نوسة» وطلب الزعيم إغلاق الباب، ثم

قال: لقد كان بيدكم أهمُّ وثيقةٍ تاريخية ... ولكنكم أضعتموها ... وهذه الوثيقة أضعتُ عمري كله حتى حصلتُ عليها.

قال «كوكس» الذي لم يكن مباليًا بما يحدث: ولماذا لا تُعلن هذه الوثيقة على العالَم وستحصل على شهرةٍ عالمية؟

ضحك الرجل الأزرق وقال: شهرة؟ وماذا بعد الشهرة؟! إنَّ ما أبحث عنه هو كنزٌ يساوي ملايين الجنيهات ... وإذا عثرتُ عليه سيكون من حق الحكومة المصرية، لأنه في أراضيها.

كوكس: كنز؟ أيُّ كنزٍ؟

الرجل الأزرق: لو لم أكن واثقًا أنكم لن تستطيعوا إفشاء سرِّي ... لأنكم لن تخرجوا من هنا أحياء ... لما قلتُ لكم ... ولكن اسمعوا هذه المفاجأة ... لقد ظننتم أن الخريطة التي عثرتم عليها تمثِّل طريقًا إلى «وادي المساخيط» ... ولكن الحقيقة أنها طريق سرِّي تحت الأرض إلى تاج «الإسكندر الأكبر»!

بدَتِ الدهشة والذهول على وجه الجميع، ومضى الرجل الأزرق يقول: وحتى الآن لم نَصِلْ إلى فكِّ رموز الكتابة التي على ظهر الخريطة.

كوكس: ولكن كيف تأكدتَ من وجود هذا التاج؟

الرجل الأزرق: لقد ثبتَ تاريخيًّا أن «الإسكندر» عندما دخل للحديث مع الإله «آمون» في واحة «سيوة» دخل وهو يلبس تاجه الشهير «ذا القرنين» ... وهو تاج ذهب مرصَّع بالماس النادر ... وعندما خرج من مقابلته التي استمرت ٦ ساعات ... لم يكن التاج على رأسه.

كوكس: شيءٌ مدهش!

الرجل الأزرق: إنني شخصيًّا عالِم آثار ... وقد قضيتُ عمري أبحث عن هذا التاج، ومعلوماتي تقول إنه مدفونٌ في مكان بين واحة سيوة ووادي المساخيط ... وليس في الوادي نفسه ... وقد حضرتُ مرتَينِ من قبلُ للبحث عنه ... ولكني لم أعثر عليه ... لأن الخريطة لا تكفي، ولا بد من فكِّ رموز الكتابة التي عليها ... وأنا ما زلت أقوم بأبحاث لفك هذه الرموز.

تختخ: إنك لست من رجال الطوارق!

ابتسم الرجل الأزرق ابتسامةً مخيفةً وقال: ليس مسموحًا لأحد أن يقول هذه الحقيقة ... فلا يعلمها بين رجالي إلا «مولود»؛ لأنه شريكي في البحث عن تاج «الإسكندر»!

تختخ: معنى هذا أن البعثة التي تحدثتَ أنك كنت فيها مجرد أكذوبة!

ضحك الرجل الأزرق وقال: ليست أكذوبةً كاملةً … فقد كنتُ عضوًا في بعثة آثار فعلًا منذ خمس سنوات … وعندما عثرتُ على الخريطة تخلَّصتُ من البعثة، واستطاع «مولود» أن يقدِّمَني إلى الطوارق على أنني زعيمهم، فقد كانت عندهم أسطورة عن زعيم غائب سيعود يومًا.

تختخ: وما هو مصيرنا؟

الرجل الأزرق: آسف جدًّا … لا بد من التخلُّص منكم جميعًا، وسيتم هذا بهدوءٍ شديدٍ دون أن تشعروا بأي ألمٍ.

تختخ: بزيادة كمية المخدِّر في المياه … أليس كذلك؟

الرجل الأزرق: بالضبط، وأنا آسف لأنك عدوِّي … إن ولدًا في مثل ذكائك يمكن أن يكون مساعدًا عظيمًا.

ساد الصمت … وصفَّق الرجل الأزرق بيدَيهِ … ففُتحَ الباب … وقال: العشاء! وسرعان ما ظهر عددٌ من الرجال يحملون الخراف المشوية … والأرز.

وقال الرجل الأزرق: كلوا واشربوا كما تشاءون.

تختخ: والمخدر؟!

ضحك الرجل الأزرق وقال: ليس مع العشاء … في وقت آخَر.

وخرج الزعيم وخلفه «مولود» … وأغلق الباب على «كوكس» والمغامرين.

قام «تختخ» سريعًا وأسرع إلى الباب ووقف خلفه يتصنَّت قليلًا، ثم دقَّ الباب … وبعد لحظات فتح … وظهر أحد الطوارق فقال «تختخ»: هل أستطيع الحديث معك؟

قال الطارقي بأدبٍ: لا يا سيدي!

تختخ: إنها مسألةٌ تهمُّكم جميعًا … إن الزعيم الأزرق ليس منكم … إنه رجلٌ إنجليزيٌّ أبيض … صبغ نفسه باللون الأزرق.

كان «تختخ» يتحدث وقلبه يدقُّ بشدةٍ … لقد كان يعرف أن كلماته قد تعني إنقاذهم … وقد تعني نهايتهم بأسرع مما يتوقعون.

صمت الطارقي لحظات ثم قال: هل أنت متأكدٌ؟

أحس «تختخ» أنه يسير في الطريق الصحيح، وأنه قد أثار الشك في نفس الرجل … فعاد يقول: أؤكد لك هذا … والمسألة كلها لا تحتاج إلا أن تغسلوا وجه الرجل وستعرفون الحقيقة.

الطارقي: إنني لا أستطيع أن أفعل هذا، وإلا كان جزائي الموت ... ولكن ...

تختخ: ولكن ماذا؟

الطارقي: سأبحث الأمر مع زملائي، ولحسن الحظ أن الزعيم ذهب إلى مكان آخَر.

تختخ: إنني في انتظار قراركم ... ولكن أين ذهب الزعيم؟

الطارقي: لقد انتقل إلى القسم الآخَر من الكهف ... حيث يُجري بعض أبحاثه.

تختخ: إنني من مصر ... وعربيٌّ مثلكم ... وإنني أؤكِّد لك كل كلمة قلتُها ... فحاوِلْ قدر ما تستطيع.

أحنى الرجل رأسه ثم أغلق الباب، وخرج، وعاد «تختخ» فقال «كوكس»: ماذا كنت تقول له؟

تختخ: إنني أحاول إنقاذ رءوسنا!

كوكس: كيف؟

تختخ: تعالوا نتعشَّى أولًا ... ثم نرى بعد ذلك ما يمكن عمله ... لقد وضعتُ خطةً قد تتحقق ... وحاولتُ محاولة قد تنجح ... وقد تفشل الاثنتان ... وتكون هذه هي النهاية.

الوداع

أغلق الباب … وجلس المغامرون ومعهم «كوكس» صامتِينَ … لقد أطلق «تختخ» سهمًا قد يُصيب وقد يخيب … وعليهم أن ينتظروا.

وكان «تختخ» يفكر في نفس الوقت في «محب»، لقد وضع له خطةً مُحدَّدةً، ووضع له علامة في الطريق … فهل سينفِّذ الخطة؟ وهل يجد طريقه إليهم؟

ومضى الوقت وهم يتناولون طعامهم في صمتٍ … وكلٌّ منهم غارقٌ في خواطره، وقال «كوكس»: كنت أتمنَّى أن أخرج من هذه المغامرة حيًّا … فلو عُدت إلى بلادي بتفاصيل هذه المغامرة … ورويتها للصحف لأصبحتُ بطلًا … ولكسبتُ منها آلاف الدولارات.

عاود «عاطف» مرحه فقال: في هذه الحالة لا بد أن تدفع لنا نسبةً مئوية من أرباحك.

قال «كوكس»: موافق … فقط أخرجوني من هنا حيًّا!

وانتهوا من الطعام، وفُتح الباب في هدوءٍ، وظهر الطارقي الذي تحدث معه «تختخ» وقد بدا وجهه متجهِّمًا، حتى ظن «تختخ» أنه قادمٌ لأخذه واستجوابه أمام الرجل الأزرق.

أشار الرجل لـ «تختخ» وطلب منه أن يتبعه … ونظر «تختخ» إلى الأصدقاء ثم مضى وقلبه يدق سريعًا … لا يدري مصيره.

سارا مسافةً قصيرة ثم انحرفا يمينًا، ودخلا غرفة صغيرة اجتمع فيها عدد من الرجال، وأغلق الرجل الباب … وأشار إلى رجل عجوز يتوسَّط مجموعة الرجال، وقال: تحدث إليه.

قال «تختخ» هل أنت زعيم المجموعة؟!

قال الرجل: إنني كنت زعيم الطوارق كلهم قبل الزعيم الأزرق … وقد سمعتُ من صاحبي هذا معلومات غريبة … هل أنت متأكد مما تقول؟

تختخ: أؤكد لك هذا ... إن الزعيم الأزرق ليس سوى رجلٍ أجنبي، عرف أن في «وادي المساخيط» كنزًا وأراد أن يحتفظ به لنفسه.

الرجل: وكيف يمكن إثبات هذا؟

تختخ: حاوِلوا أن تعرفوا لون جلده الأصلي ... إنه أبيض وليس أزرق مثلكم.

أخذ الرجل العجوز يُمشِّط لحيته بأصابعه مفكِّرًا، ثم قال: عُد إلى غرفتك ... وإذا كانت هذه المعلومات صحيحةً ... فسوف ننقذك أنت وزملاءك، وسيكون لنا حسابٌ مع هذا المُدَّعي.

عاد «تختخ» سريعًا إلى الغرفة ... وعندما شاهد الأصدقاء شكله أدركوا، أنه يحمل أخبارًا هامة.

ومضت نصف ساعة و«تختخ» يدور في الغرفة الصخرية، يبحث عن احتمالات الهرب منها ... ولكن الغرفة كانت صمَّاء ... وليس بها إلا فتحات التهوية الضيقة في السقف.

وسمعوا صوت أقدام، ثم ظهر «مولود» وطلب منهم عدم التحرُّك ... كان هادئًا ... وواثقًا من نفسه ... وأدركوا جميعًا أن «تختخ» قادهم إلى الهلاك العاجل.

عَبْرَ دهاليز كثيرة مُضاءة بالمشاعل مَشَوا حتى وصلوا إلى حائطٍ صخريٍّ، كانت المياه تندفع من جانب منه في غدير صغير ... وقد نبتت بعض الحشائش وارتفع صوت دقٍّ مستمر ... ومضوا خلف الحائط ... ووجدوا الزعيم الأزرق يقف بجوار بركة من المياه، وعددًا من رجاله يحفرون بامتداد الحائط دهليزًا طويلًا بدَتْ فيه بعض الصخور المتآكلة.

وفتح الرجل الأزرق فمه ليتحدث، ولكن قبل أن يقول كلمة واحدة ظهر الطارقي الشيخ، ومعه عددٌ من رجاله ... فصاح بهم الرجل الأزرق: ماذا أتى بكم إلى هنا؟

ردَّ الشيخ: إن لنا حديثًا معك.

قال الزعيم الأزرق: ليس هناك أحاديث في هذا المكان ... إننا نعمل من أجل الكنز.

كان الزعيم الأزرق يقف على صخرةٍ بجوار بركة المياه ... وبجواره يقف «تختخ»، وفجأة قفز «تختخ» على الزعيم الأزرق وجرَّه معه إلى بركة المياه.

كانت مفاجأةً كاملة شلَّت جميع الواقِفِينَ ... وأدرك المغامرون على الفور ... ماذا يريد «تختخ» أن يُثبت ... فقد أمسك بوجه الرجل الأزرق وأخذ يغسله بالمياه ... وسرعان ما اتضحَتِ الحقيقة ... وكان وجه الزعيم الأزرق قد انكشف عن بشرةٍ بيضاء ناصعة، وصاح الطارقي العجوز: خائن!

وخرجَتِ السيوف القصيرة من أغمادها ... ولكن «مولود» تصرَّف بسرعةٍ ... فقد مدَّ يده وجذب الزعيم الذي لم يعد أزرق، وانطلقا جريًا خلف الحائط.

ارتفعَتِ الضجة بين الجميع ... وخرج «تختخ» مبتلَّ الثياب ... وقال: هيا بنا.

وجروا جميعًا على غير هُدًى ... كانت الدهاليز ممتلئةً بالطوارق ... وقد اختل نظامهم ... وارتفعَتْ أصواتهم ... وفي وسط هذه الضجة استطاع «تختخ» أن يعثر على الطارقي الذي تحدَّث معه في غرفة الطعام ... فقال له: أخرجنا من هنا!

وقادهم الرجل سريعًا حيث صعدوا بعض الدرجات الحجرية ... ووجدوا أنفسهم تحت السماء مرة أخرى ... وكم كانت دهشتهم عندما سمعوا صوت «زنجر» ينبح ... وأدركوا أن «محب» قد وصل حسب خطة «تختخ».

صاح «محب»: تعالوا من هذه الناحية، لقد استطعتُ أخذ بعض النياق.

كوكس: ولكنني أريد أن أرى نهاية هذه المغامرة.

عاطف: يكفي هذه النهاية ... وإلا كانت نهايتنا.

وظهر الطارقي الصديق وقال بحزنٍ: لقد أحرق الخائن الخريطة ... وضاع تعب السنوات الطويلة هباء!

تختخ: وهل قبضتم عليه؟

الطارقي: ما زال الصراع دائرًا بين رجالنا ورجاله ... فنصف الرجال معه ... ولكن سنتغلَّب عليهم في النهاية.

تختخ: الوداع ... وتعالَوا لزيارتنا لنعرف ماذا جرى.

الطارقي: الوداع ... وأرجو لكم رحلةً مُوفَّقةً ... وشكرًا.

وقفز الأصدقاء إلى ظهور النياق، وانطلقوا عائدِينَ إلى المعسكر يقودهم «زنجر» عبر الرمال والتلال.


هنـــداوي